الأوضاع الاقتصادية في العهد الصفوي المتأخر (١٦٢٩ – ١٧٢٢م)

م.د. بشرى إبراهيم سلمان(*)

مقدمة

أسهمت العديد من العوامل الاقتصادية والسياسية في تراجع وتدهور الحكم الصفوي في البلاد، بصورةٍ أدَّت إلى تعرضها إلى الغزو الأفغاني الذي أثبت عجز القوى الاقتصادية والمؤسَّسات السياسية عن الوقوف ضدَّ التحديات الخارجية والأطماع الأجنبية، إلى جانب عجز المنظومة السياسية في اختيار الحاكم الأنسب، وانفراط عقد المؤسَّسات إلى الحدِّ الذي وقف البعض منهم متفرجاً، إزاء ما يحدث على الساحة السياسية الصفوية، وانعكاسها السَّلبي على الأوضاع الاقتصادية للبلاد.

قُسِّم البحث إلى مقدمةٍ وأربعةِ محاور وخاتمة، جاء المحور الأول بعنوان: الأوضاع الاقتصادية في عهد الشاه عباس الأول للمدَّة (١٥٨٧-١٦٢٩م)، وتضمَّن بيان الأوضاع الاقتصادية والتي شَمِلت النشاط التجاري والزراعي والصناعي، وحمل المحور الثاني عنوان: نبذة عن شاهات فترة الضعف والانحلال، وعرض المحور الثالث: الأوضاع الاقتصادية الصفوية للمدَّة (١٦٢٩-١٧٢٢م)، وشَمِل الجانب الزراعي والثروة الحيوانية والجانب الصناعي، فضلاً عن الجانب التجاري، في حين تطرَّق المحور الرابع إلى موارد وممتلكات الشاهات للمدَّة (١٦٢٩-١٧٢٢م) من النقود، الضرائب، الأملاك والعائدات، وانتهى البحث بخاتمةٍ تضمَّنت مجموعة من الاستنتاجات.

أولاً: الأوضاع الاقتصادية في عهد الشاه عباس الأول (١٥٨٧-١٦٢٩م)

اهتم الشاه عباس الأول[1] بتنمية الحياة الاقتصادية الصفوية؛ نظراً لِما حقَّقتهُ من ازدهارٍ وتوفير الأموال اللازمة لإنفاقها في مجالاتٍ متعدَّدة تصب في مصلحة البلاد، إذْ لم يكن هناك فصل بين الميزانية العامَّة والميزانية الخاصة بالشاه فكانت

(*) كلية الرشيد الجامعة / بغداد. Dr.bushra@alrasheedcol.edu.iq

واحـدة، وكان الشـاه هـو المتحكِّـم والمتـصرف في توجيه مواردها المختلفة حسـب مـا كانت تقتضيه المصلحة، وقد تعدَّدت مصادر تمويل هذهِ الميزانية، ومنها[٢]:

١. الرسـوم المفروضـة عـلى الأراضي الزراعيـة، فضلاً عن ما صرفهُ الشاه على حُكَّام الولايات من نسـبٍ عـلى إنتاجهم الزراعـي والحيواني، فمثلاً كانت كردسـتان مُلزمة بتوريد جزء من زيوتهـا إلى العاصمـة أصفهـان، وفـرض على كرجسـتان توريد عددٍ من الغلمان والجواري، في حـين كانـت خوزسـتان تُرسـل الخيـول العربيـة، أمَّا جيلان المشـهورة بجـودة الحرير فقـد فرض عليها أنْ تُقدِّم له جزءاً من إنتاجها للحرير.

٢. عوائـد الأمـلاك الخاصـة بالشـاه والتـي سُـمِّيت بـ(الخارطـة)، فـإنَّ وارد هـذهِ الأمـلاك كان منتـوج أفضـل وأخصـب الأراضي التـي وجـدت في أنحـاء الدولـة الصفويـة، وهـذهِ العوائـد كانـت ناشـئة عـن الأمـلاك الموروثة وتصل مبـاشرةً إلى الخزانة السـلطانية وتمَّ إنفاقها للبلاط، كما ويكـون ثلـث محصـول الأراضي من حقِّ الشاه.

٣. الضرائـب عـلى ذوي الدخـول المرتفعـة والمُـلَّاك مـن أصحـاب قطعـان الماشـية، والضرائب المفروضة على القطن ومنتجي الحريـر وعوائـد المعـادن والأحجـار الكريمة.

٤. الجزية المفروضة على غير المسـلمين، مثل: الشركس والأرمن والكرج وغيرهم.

٥. مـوارد الكمارك في الموانـئ الصفوية المُطلَّة عـلى الخليج، وكانـت تُعادل عـشرة بالمائة من أثمان الواردات في البلاد.

٦. ضريبة التبغ والتـي كانت تدُر مبالغ كبيرة على الخزانة العامة، إذْ كان اسـتهلاك التبغ منتشراً بين الأهالي بشـكلٍ واسـع، ممَّا أثار مخاوف الشـاه على الصحَّة العامة للأهالي، فأصـدر في العـام ١٦١٨م قـراراً يقـضي بتحريمـهِ، إلَّا أنَّه انتشر مجدداً عقب وفاتهِ، وقد بلغ الدخل اليومي للخزانة نحو ألف ومائتي تومان، في حين كان إجمالي الإنفاق يصل حـوالي ألف تومـان، ممَّا ولَّـد فائضاً كبـيراً، اسـتثمرهُ الشـاه في إحـداث نهضةٍ عِمرانيـة في أصفهـان وغيرهـا مـن المـدن الصفوية.

النشاط التجاري

حـرص الشـاه عبـاس الأول عـلى الانفتـاح التجـاري على الشرق، الصين، الهنـد، والغرب مع الـدول الأوربية، وجعل العاصمـة أصفهان مركزاً تجاريـاً عالميـاً ورئيسـياً للتجارة الشرقيـة، يقصدها التجَّار من جميع أنحاء العالم، فشـجَّع التجارة ودعا تجار العالم لزيارة الدولة الصفوية، وسهَّل لهم سُبُل الإقامـة وقدَّم لهم مجموعة مـن الضمانات، التي من بينها[٣]:

١. منع حُكَّام الأقاليم من التعرض لهم، والسَّماح لهم بحرية التنقل في عموم المدن الصفوية.

٢. السَّـماح للتجَّـار الأجانـب بممارسـة عاداتهم وتقاليدهم من دون إلزامهم بمُراعاة العادات والتقاليد الصفوية.

٣. تحذير رجال الدين ولاسيَّما المتشدِّدين منهم بعدم التعرض للتجَّار الأجانب، وفسح المجال لممارسة معتقداتهم الدينيَّة.

٤. رُكِّزت بعثاتهُ إلى أوروبا في التفاوض على الصعيدين السياسي والتجاري، إذْ كان الإنكليز يشترون الحرير الصفوي من حلب بأسعارٍ مرتفعة، إلَّا أنَّ اتصالهم التجاري المباشر بالدولة الصفوية مكَّنهم من شرائهِ بنصف ثمنهِ، فضلاً عن بيع الصوف الإنكليزي في أسواق الدولة الصفوية وشراء الحرير بثمنهِ.

٥. تطلَّب تسيير سُبُل التجارة، تمهيد الطُّرق التي كانت تسلكها القوافل التجارية وتعبيدها وتحقيق الأمن فيها، فأُنشأت الخانات على طول الطُّرق التجارية، لتقديم الخدمات للتجَّار والمسافرين من طعامٍ وجياد وأماكن للمبيت، وزوَّدها بالحاميات العسكرية والحراسة المُشدَّدة، وسيَّر دورياتٍ متنقِّلة لتأمين القوافل ضدَّ قُطَّاع الطرق، وألزم المدن بتعويض أيِّ تاجرٍ سُرقت منهُ بضاعته، كما بلغت عدد الخانات التي بُنيت في المدن الصفوية الواقعة على الطُّرق التجارية نحو ألف خانٍ، يتَّسع الواحد منها لمئات المسافرين مع دوابهم وحمولاتهم ولم يؤخذ عنها أيَّ ثمن.

٦. كان اهتمام الشاه عباس الأول بالموانئ المُطلَّة على الخليج العربي، فبنى ميناء بندر عباس ليحلَّ محل ميناء كمبرون الذي فقد أهميته بعد طرد البرتغاليين منهُ.

هذا وكانت قد ازدهرت الموانئ في عهد الشاه عباس الأول، وأقامت الشركات التجارية الأجنبية فيها دوراً تجارية لها، ومن هذهِ الشركات شركة الهند الشرقية الإنكليزية، وشركة الهند الشرقية الهولندية، وارتبطت الدولة الصفوية بعلاقاتٍ تجارية مهمة مع الدول الأوربية، ولاسيَّما مع البرتغاليين الذين أولوا اهتمامهم بالبلاد، كونها تُعد نقطة لمراقبة الطُّرق البحرية والتي كانت تمتد وصولاً لشبه القارة الهندية[٤]، وشجَّع الشاه عباس شركة الهند الشرقية الإنكليزية على التجارة مع بلادهِ، ومنحها امتيازاتٍ وتسهيلاتٍ تجارية، منها حقَّ احتكار تصدير الحرير من الموانئ الصفوية، وحقَّ إقامة وكالةٍ تجارية لها في (جاسك) على الساحل في خليج عُمان، وعقب سيطرة الشاه عباس الأول على جزيرة هرمز سمح لمندوبي شركة الهند الشرقية الإنكليزية شراء أيَّ كميةٍ من الحرير، من أيِّ منطقةٍ في بلادهِ وتصديره منها دون دفع أيَّة رسوم[٥]، وعلى صعيدٍ متصل أدَّت المنافسة البرتغالية للإنكليز إلى توثيق التحالف بين الشركة الإنكليزية والشاه عباس الأول، ورحَّبت وكالة الشركة في (سورات) بالتبادل التجاري، وما يتبع ذلك من فوائدٍ اقتصاديةٍ وحاجتها المُلحَّة لأسواقٍ لبيع أقمشتها الصوفية، إذْ تعود أهمية ميناء بندر عباس إلى اتصالهِ بالطُّرق البرية مع شيراز وغيرها من المدن الداخلية الصفوية، لذا كان الإنكليز والهولنديون والفرنسيون قد أقاموا وكالاتهم التجارية فيها، وقد برهنت الشحنات التجارية الأولى التي أرسلتها شركة الهند الشرقية الإنكليزية على أهمية الأسواق لاستيعاب البضائع الإنكليزية الفائضة في الهند ومقايضتها بالحرير الصفوي[٦]، هذا إلى جانب حرص الشاه عباس على إثارة المنافسة التجارية بين شركة الهند الشرقية الهولندية التي استقرت في بندر عباس عام ١٦٢٣م، وبين شركة الهند الشرقية الإنكليزية

بغية رفع أسعار الحرير الصفوي وتحقيق مكاسب اقتصادية من الشركات المتنافسة[٧]، وقد اعتمدت التجارة الصفوية بشكلٍ رئيس على مادة الحرير إذْ اشتهرت المدن الصفوية بإنتاجهِ، واحتكر الشاه عباس الأول هذهِ التجارة لذاتهِ نتيجةً لِما تدرهُ من أرباح فكان يُشرف على عمليات تسويقهِ ويحرص على تصديرهِ عِبرَ موانئ الخليج بفعل مُعاداتهِ للدولة العثمانية، والتي تمر طرق التجارة عِبرَ أراضيها لاسيَّما في العراق والشام، ولكثرة الحروب مع العثمانيين وعدم رغبتهِ في دفع رسوم العبور على اعتبارها دولةً معادية، لذا فإنَّ الحرير الصفوي أصبح يُرسل إلى ميناء هرمز في جنوبي الخليج، وتُحمِّله السفن الأوربية إمَّا إلى الهند أو إلى أوروبا عِبرَ طريق رأس الرجاء الصالح، فضلاً عن الطريق البرِّي الذي كانت تسلكهُ القوافل التجارية عِبرَ الأراضي الروسية ومنها إلى أوروبا. نتيجةً لِما تقدم أصبحت المدن الصفوية في عهد الشاه عباس الأول ولاسيَّما أصفهان تعجُّ بالتجَّار الأجانب من أنحاء العالم، ولاسيَّما بعد أنْ أمر الشاه الآلاف من التجَّار والصُنَّاع بالانتقال إلى أصفهان والعمل فيها، ممَّا ولَّد للبلاد ازدهاراً اقتصادياً لم تشهد له مثيلاً[٨].

النشاط الزراعي

وفيما تعلَّق بالنشاط الزراعي، فقد كانت الأراضي الزراعية مقسَّمة في عهد الشاه عباس الأول على أربعة أقسام، هي[٩]:

١. أراضي الولايات التي أشرف عليها حُكَّام الأقاليم، وشغلت القسم الأكبر من الأراضي الزراعية.

٢. الأملاك الخاصة بالشاه عباس، وكان ريعها يعود إلى خزائنهِ الخاصة.

٣. أراضي الأوقاف الخيرية والتي أوقفها أصحابها على المؤسَّسات الدينيَّة.

٤. أراضي عامَّة الشعب والتي كان الشاه عباس يمنحها للسكَّان على شكل إيجارٍ رمزي مدَّتهُ تسع وتسعون عاماً، وكانت تعود عَقِب انتهاء المدَّة إلى حاكم الإقليم، ونسبة هذهِ الأراضي ضئيلة، وبذلك فإنَّ الفلَّاحين في عهد الشاه عباس الأول كانوا قد حُرموا من مُلكية الأراضي التي يزرعوها، إلَّا أنَّ الشاه كان يمنح الفقراء الأراضي والماشية، ويوقف جزء من أراضيه لصالحهم، كما وكان عدد العاملين في الزراعة يفوق عدد العاملين في المِهَن الأُخرى، ويُلاحظ من هذا التقسيم للأراضي أنَّ الشاه كان يملك مساحاتٍ كبيرة من الأراضي الزراعية وكان يضم أراضٍ إلى ملكيتهِ الخاصة، لاسيَّما بعد أنْ تخلَّص من قادة القزلباش وضمَّ أراضيهم إلى أملاكهِ، وكان السائح الفرنسي جان شاردان Jean-Baptiste Chardin (١٦٤٣-١٧١٣م) قد ذكرَ أنَّ الفلَّاحين على الرغم من حرمانهم من مُلكية الأراضي التي يزرعوها إلَّا أنَّهم كانوا في عهد الشاه عباس الأول يعيشون حياةً راغدة تفوق معيشة أقرانهم في أوروبا.

النشاط الصناعي

تأتي صناعة الأسلحة النارية في مقدمة الصناعات في عهد الدولة الصفوية، ولاسيَّما في أيام الشاه عباس الأول من حيث الأهمية، إذْ استثمر الشاه عباس وجود البعثة الإنكليزية في

بـلادهِ وتباحث معهم حول تطوير قواتهِ المُسـلَّحة، فأشـاروا عليـه بإنشـاء مصنـع حديـث لإنتـاج الأسـلحة وأعربـوا عـن اسـتعدادهم للمُسـاعدة في إنجـاح المـشروع، فتـمَّ الاتفـاق وزوِّد جيشـه بـــ(٦٠،٠٠٠) بندقيـة حديثـة و (٥٠٠) عربـة مدفع، وقد سـاعدتهُ هذهِ التجهيزات من الأسلحة في التصـدِّي للدولـة العثمانيـة، وتحقيـق الانتصـار عليها، إذْ تمكَّن من طردهم من تبريز عام ١٦٠٣م، ومـن اسـترداد (إريفـان)، (شروان)، فأرسـل العثمانيون جيشاً قوامهُ (١٠٠،٠٠٠) مقاتل، تمكَّن الشـاه عبـاس الأول مـن طردهم بـــ(٦٠،٠٠٠) مقاتـل عام ١٦٠٥م، ليسـتردَّ بعد ذلـك أذربيجان وكردسـتان، حتَّـى تمكَّن من الاسـتيلاء على بغداد عام ١٦٢٣م، عَقِب حصارٍ دام ثلاثة أشـهر اضطر الأهالي لأكل لحـوم الحمير[١٠]، وبلغت قيمة الحمار ألف أقجة[١١].

كـما لم يغـب عـن فكـر الشـاه آنـذاك الاهتـمام بمقوِّمـات ازدهـار الفنـون والآداب، حتَّى قيل إنَّ عهـده لم يُضاهيه عهـدٌ آخر من العهـود الحديثة في تاريـخ الدولـة الصفوية، لاسـيَّما وأنَّه كان شـغوفاً بالبنـاء وفنـون الزخرفـة الهندسـية، إذْ أسَّـس في العاصمـة أصفهان مدرسـةً للرسـم، وكان يُطلب من الطلَّاب أنْ ينسـخوا أشهر المُنمنمات، إذْ يغلب عليها جمال التصميم ودقَّة الرسم على الموضوعات والأشخاص، مثل لوحةٍ لمُدرِّب الباز وشاعر يجلس في الحديقـة، كما أنَّ هناك طريقةً أخرى للرسـم على الجـدران، كما وقد برز التخصص في زخرفة القرآن الكريـم، وفي تذهيب الآثـار الأدبية القديمة، مثل: الشـاهنامة *Shahnameh* للفردوسي (٩٣٥-١٠٢٠م)، وكلسـتان *Golestan* السَّـعدي (١٢١٠-١٢٩١م) والتي ذهَّبها حسـن البغدادي بماء الذهب، وتفوَّق رضا العباسي في الرسـم بتلك المرحلـة، كما وبقـي الخط فناً رئيسـاً في عهد الشـاه عبـاس الأول وحظيَ مير عماد بعنايةٍ فائقة من قبل الشـاه عباس بفضل نسـخهِ الدقيق للمخطوطات القديمة[١٢].

اشـتهرت المـدن الصفويـة بصناعـة الأواني الخزفية المُحلَّاة بالرسوم، واستمر الخزَّافون في مدن أصفهـان وقاشـان يُبدعـون أشـكالاً مـن الخزف، أمثـال: القنـاني، الأباريـق، الأطبـاق، الفناجـين. وأضحـى الخـزف المُزخـرف الفسيفسـائي مـادةً لتغطية الجدران في المسـاجد والقصور، وازدهرت صناعة النسـيج في عهد الشاه عباس الأول وشغل الرسَّـامون والنسَّـاجون والصبَّاغون حيِّزاً كبيراً في أصفهان، وكانوا يُعدَّون بالآلاف وأصبح إنتاجهم السـلعة الرئيسـة في تجارة الصـادرات، واختصت مصانـع العاصمـة بإنتـاج المنسـوجات التـي كان الشـاه يُهديها إلى ملوك أوروبا وكبار دولتهِ، ممَّا أدى إلى خلـق منافسـةٍ بين مصانـع العاصمـة الصفوية لتقديم الأفضل والأجود، كما كانت ملابس الشـاه مـن الحرير والأقمشـة المقصَّبـة والمطـرَّزة، هذا إلى جانب إنشـاء الشـاه عبـاس الأول مشـغلاً خاصاً يتـولَّى إدخال الخيـوط الذهبية والفضيـة والحريرية في صناعة السـجَّاد، وتمَّ صناعة سـجَّاد من الحرير الخالص لقصـورهِ الخاصـة أو لتقديمهـا إلى ملوك أوروبـا، فقـد أحـرز شـهرةً واسـعة حتَّـى أنَّ أحد ملوك بولندا المعاصرين للشـاه عباس الأول أرسل التجَّـار لشراء السـجَّاد الحريـري الصفـوي ليُزيِّن بهـا قصره[١٣]، فضلاً عن الاهتـمام بصناعة الزجاج والأواني الفخارية، واستدعى لبلادهِ العمَّال والمهرة في صناعـة الزجـاج، وأشرفـوا عـلى إقامـة مصانع لإنتاجـهِ في مـدن شـيراز، وأصفهـان، وكاشـان،

وسبق أنْ تعامل مع أمهر المُحترفين الصينيين في مجال صناعة الفخار، وعهد إليهم بمهمة الارتقاء بهذهِ الصناعة في دولتهِ، وتَّم تدريب العمَّال الصفويين على مختلف الصناعات، ممَّا ساعد على ارتقاء طبقة الصناعيين والحِرفيين وازدياد الدخل المالي، فشكَّلوا نقاباتٍ حرفية تتولَّى مهمة الحفاظ على حقوقهم والدفاع عن مصالحهم[١٤].

ثانياً: نبذة عن شاهات فترة الضعف والانحلال

تولَّى خلال المدَّة موضوعة البحث أربعة شاهات للدولة الصفوية، جاءوا تباعاً ولم تُسجَّل أيَّة مشكلاتٍ أو اضطراباتٍ في كيفية تسنمهم العرش الصفوي، وهم كلٌّ من:

الشاه صفي (١٦٢٩-١٦٤٢م): هو سام ميرزا بن صفي ميرزا بن الشاه عباس الأول، قُتل والده بأمرٍ من الشاه عباس الأول الذي أوصى قبل وفاتهِ بتعيين حفيده سام ميرزا خلفاً له، فجلس الشاه الجديد على العرش الصفوي في يوم الاثنين الموافق الرابع عشر من شباط ١٦٢٩م وهو لا يزال في السابعة عشرة من عمرهِ، ولقَّب نفسه بـ(شاه صفي) إحياءً لذكرى والده، إذْ أوجدت قضية مقتل والده من قبل جدِّهِ الشاه عباس الأول عقدةً نفسيةً لدى الشاه صفي ترسَّخت في أعماقهِ، وأفرزت طاقةً سلبية انعكست على معاملتهِ لأفراد أُسرتهِ، فسار على سياسة جدِّهِ بقتلهِ عدداً من أبنائهِ وسمل أعيُنهم[١٥].

الجدير بالذكر أنَّ الشاه صفي وخلال مدَّة حكمهِ لم يُثبت أيَّ جدارةٍ في إدارتهِ للحكم، وتميَّز عهده بالفساد والظلم وانتهاك الحرمات، طيلة مدَّة حكمهِ والبالغة أربعة عشر عاماً، ولم ترَ بلادهُ سوى حكماً تعسفياً قاسياً ودموياً، إذْ كان قد قتل معظم أفراد أُسرتهِ، ومنهم عمَّيهِ السجينين (مُحَمَّد ميرزا وإمام قلي) بعد أنْ سمل عيونهما، إلى جانب عددٍ من القادةِ والأمراء والحكَّام والمُستشارين البارزين، أمثال إمام قلي خان الذي قاوم البرتغاليين في جزيرة هرمز مع أبنائهِ الثلاثة في مدينة أصفهان[١٦].

ولم تشهد دولته أيَّ تطورٍ علماني أو استقرارٍ سياسي، وظلَّ الشاه بعيداً عن التعليم والاهتمامات الثقافية وفنون القتال والفروسية، ولم يمتلك مؤهلات إدارة الحكم، وانشغل بشرب الخمر وارتكاب المُفسدات، نتيجةً لذلك سارت دولته نحو الانهيار، ولم يُقدَّر للشاه صفي أنْ يحكم طويلاً إذْ توفِّي وهو لم يتجاوز الحادية والثلاثين من عمرهِ بسبب إفراطهِ في شرب الخمور، كما قيل بأنَّه مات مسموماً ودُفن بمدينة (قم) في الثاني عشر من أيار ١٦٤٢م[١٧].

الشاه عباس الثاني (١٦٤٢-١٦٦٦م): عَقِب وفاة الشاه صفي، تولَّى عرش السلطنة ابنهُ عباس المُلقَّب بـ(عباس الثاني) وهو لم يتجاوز العاشرة من عمرهِ عام ١٦٤٢م، ونتيجةً لصغر سنِّهِ سيطر الأمراء والأعيان ورؤساء القزلباشية، وأصبح ميرزا تقي – اعتماد الدولة صدراً أعظم للشاه وقبض زمام الأمور بيدهِ، فثارت ثائرة بقية الأمراء، ممَّا اضطر الشاه عباس الثاني في نهاية المطاف بإعدام اعتماد الدولة[١٨]، وببلوغ الشاه الجديد سنَّ الرشد مسك بزمام الأمور وإدارة الدولة، من دون أخذ رأي الوزراء وأعيان البلاد، فأثبت جدارته السياسية أثناء مدَّة حكمهِ، وعُدَّ شاهاً شجاعاً ذا عزمٍ وإرادة رغم الإفراط بشرب الخمور، فكانت تصدر منهُ أحكام وقرارات جائرة في حالة سكرهِ، بعيدةً كلَّ البُعد عن العلاقات الإنسانية[١٩].

تمتعت الدولة الصفوية إبَّان حكم الشاه عباس الثاني باستقرارٍ نسبي، إذْ لم يشهد عهده مواجهاتٍ حربية مع الدولة العثمانية، ممَّا دفعهُ للعمل على توسيع مُلكهُ وسلطانه، ففتح قندهار عام ١٦٤٨م بعد أنْ خسرتها الدولة الصفوية أيام الشاه صفي، كما قام ببناء سور مدينة بندر عباس عام ١٦٥٠م، ونجح في إخماد ثورةٍ قام بها الكرج عام ١٦٥٩م[٢٠]. توفِّي الشاه عباس الثاني في الرابع والعشرين من ربيعٍ الأول ١٠٧٧هـ، في قصر خسرو آباد في دامغان، بعد حكمٍ دام خمسة وعشرين عاماً[٢١].

الشاه سليمان (١٦٦٦-١٦٩٤م): خلف والدهُ الشاه عباس الثاني، لُقِّب في البداية بالشاه (صفي الثاني)، ثمَّ لُقِّب بالشاه (سليمان) بناءً على توصيةٍ أصدرها منجِّميه بغية الاحتراز من نحس الأوضاع الفلكية حسب معتقداتهم، عُرف عنه بأنَّهُ شخصية ضعيفة وقع تحت تأثير الأمراء والمُستشارين، وساد في عهدهِ التدهور والانحلال، ومال لمُخالطة النساء والحريم، فأهمل الشؤون العامة وأصبح مدمناً للخمر، إذْ شَهِد عهده تدخل الحريم والأمراء والأعيان في شؤون الحكم، وهو ما شجَّع الأوزبك للهجوم على شمالي البلاد وخراسان، وقد توفِّي الشاه سليمان عام ١٦٩٤م إثر إصابتهِ بمرضٍ عضال، فأعقبهُ ابنهُ سلطان حسين[٢٢].

الشاه سلطان حسين (١٦٩٤-١٧٢٢م): ارتقى العرش الصفوي عام ١٦٩٤م، وكان عمرهُ آنذاك ستةً وعشرين عاماً، تميَّز بضعفهِ وعدم قدرتهِ على تصريف الأمور السياسية، ترعرع مثل والدهِ بين الحريم، ولم يكن يعلم عن السياسة وإدارة الحكم في عهدهِ شيء، فأوكل شؤون البلاد إلى رجال الدين[٢٣]، إذْ لم يتمكَّن الشاه سلطان حسين من اتخاذ القرارات بمفردهِ، إذْ كان ضعيف الإرادة حتَّى استغل رجال حاشيتهِ (خواجات السرايا) هذا الضعف، وصاروا هم أصحاب الاختيار الحقيقي، وأصبح قرار العزل والتنصيب لمقامات الدولة السياسية والعسكرية، وحتَّى أحكام الموت أو الإعفاء منهُ بأيديهم، ولم يُسمح بإجراء أيِّ أمرٍ إلَّا بموافقتهم فلم يبقَ للشاه سوى الاسم[٢٤].

شَهِد عهد الشاه ارتفاع نسبة الضرائب المفروضة على الأهالي، وشدَّد الجُباة في استحصالها في الوقت الذي انشغل فيه الشاه بملذَّاتهِ الشخصية، وعدم مبالاتهِ بشؤون الحكم، فأصبحت البلاد نتيجةً لذلك عرضةً للغزو الخارجي المتمثل بالغزو الأفغاني، فتمكَّنوا من الاستيلاء على أصفهان عام ١٧٢٢م، بعد أنْ دخل مير محمود الأفغاني أحد قصور الشاه سلطان حسين في فرج آباد، الذي تنازل لهُ عن العرش وقدَّم لهُ التاج بنفسهِ، فتوِّج مير محمود شاهاً على البلاد في الثاني والعشرين من تشرين الأول ١٧٢٢م، لينتهي بذلك فعلياً حكم الأسرة الصفوية، وأُعدم الشاه سلطان حسين من قبل الأفغان عام ١٧٢٦م[٢٥].

ثالثاً: الأوضاع الاقتصادية الصفوية للمدَّة (١٦٢٩-١٧٢٢م)

الجانب الزراعي والثروة الحيوانية

تتميز الهضبة(*)، بوجود أشكالٍ تضاريسية ومناخية متباينة من سهولٍ وهضاب وصحارى وجبال، ممَّا جعل الموارد الزراعية الصفوية متنوعة، إذْ خضعت الزراعة لعاملي المناخ، وتوفر المياه في بلادٍ سيطرت الصحراء على جزءٍ كبير من وسطها، وأحاطت الجبال بالعديد من سهولها، عُرفت فيها الزراعات البعلية مثل الحبوب والزراعات الإروائية التي تستخدم الرَّي في سقايتها، فانتعشت الزراعة في العهد الصفوي، وانعكس ذلك زيادةً في مردود الخراج على خزينة الدولة(٢٦).

تأثر الفلَّاح في العهد الصفوي بالعوامل المناخية وتوفير المياه، فتنوعت المحاصيل الزراعية إذ شكَّل القمح والشعير الغِلَّتين الرئيسيتين، وكان الأرز المحصول الأول، وكان يُزرع على نطاقٍ محدود بجوار أصفهان، وسادت زراعة قصب السكَّر في خوزستان، كما زُرعت أشجار الفاكهة والكرمة والتين والنخيل والزيتون والحمضيات، وأخذت المحاصيل الزراعية تُصدَّر، مثل: التمور من عربستان وسيستان وكرمان، والرُّمَّان من يزد وشيراز، والبرتقال من مازندران، والبصل من خراسان، كما كانت تُزرع أشجار الحمضيات والتوت بشكلٍ كبير، أمَّا زراعة الخشخاش والقنب الهندي (الحشيش) فأخذت تزدهر في تلك المدَّة، وخلال عام ١٦٧٠م كانت زراعة التنباك منتشرةً بشكلٍ واسع في مختلف المناطق، ويمكن الحصول على أجودها في عربستان وهمدان وكرمان وخراسان، كما كان العنب من النوعيات الممتازة إذْ دخل في صناعة الخمر، التي كان اليهود والأرمن يقومون بصناعتها وتُستهلك في البلاط الشاهي(٢٧).

أصبحت منطقة نجف آباد القريبة من أصفهان مركزاً لزراعة الفاكهة، إذْ كان يُزرع فيها الكروم والبطيخ واللوز والسفرجل ونوع من المشمش يُسمَّى (تخم شمش)، أي بيض الشمس بكمياتٍ كبيرة في أصفهان، أمَّا البطيخ فينتشر بكمياتٍ وفيرة وبأكثر من عشرين صنفاً مختلفاً، فهناك صنف من البطيخ لا يصلح للأكل، ولا يزيد حجمهُ عن حجم البرتقال، وقشرهُ ملوَّن بخطوطٍ صفراء وحمراء، غير أنَّهُ يمتاز برائحةٍ زكية تجعل حاملهُ كحامل الورد(٢٨)، كما زُرعت نباتات القطن لتربية دودة القز، والتي انتشرت بشكلٍ واسع حول يزد في خراسان وفي منطقة جيلان، إذْ شَهِد القرن السابع عشر طفرةً نوعية في تربية دودة القز، ووصلت أعلى مستويات الإنتاج، وأصبح هناك فائضاً من الحرير، أخذ يُصدَّر بكمياتٍ كبيرة إلى الخارج(٢٩).

وفيما تعلَّق بالثروة الحيوانية فقد شَهِد العهد الصفوي ثروةً حيوانية ضخمة من أغنام وماعز وجمال، وذلك بحكم طبيعتها الجغرافية، إذْ كان

(*) تُشكل التضاريس في البلاد الصفوية في أغلبها من الهضبة الصفوية، والتي تمتد بين هضبتي أرمينيا غرباً وبامير شرقاً، وتُمثل مثلثاً ينحصر بين منخفضين: الخليج العربي من الجنوب وبحر قزوين وسهل التركمان من الشمال، كما ويغلبُ عليها الطَّابع الجبلي. للمزيد، يُنظر: عبد الحميد الأرقط، **أوضاع الدولة الصفوية وعلاقاتها الخارجية في عهد الشاه عباس الأول (١٥٨٨-١٦٢٩م)**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجزائر، جامعة حمه لخضر الوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، ٢٠١٥م، ص٢.

الهدف الأساس من الرعي توفير وتأمين الحاجات الأساسية لمعيشة السكَّان، كونها توفِّر لهم أهم الحاجات الضرورية من طعام (اللحم، اللبن، الجبن)، وملابس (الصوف والجلد)، ووسائل نقل (الخيول، الجمال، الحمير)، وجرى الاهتمام بتربية أنواعٍ من الطيور (الدجاج، الحمام، البط)، أمَّا عن حاجة البلاد من اللحوم فكان القسم الأكبر منها يُسَد من مواشي وقطعان البدو، إذْ كانت قطعانهم من الماشية متوفِّرة في عدَّة مناطق، ولكلٍّ قبيلة نوعان من المراعي الواسعة، مرعى صيفي (بيلق)، ومرعى شتوي (قيشلق)، وعادةً ما تكون المراعي الصيفية في المرتفعات، بينما المراعي الشتوية في المنخفضات والأودية، هذا وقد لاحظ الرحَّالة الفرنسي (شاردن) ضخامة قطعان الماشية، وقدَّر المساحة التي تتجمَّع فيها هذهِ القطعان والمواشي بأنَّ قطعها يستلزم ثلاث ساعاتٍ على أدنى تقدير[٣٠]، والمُلاحظ أنَّ الجانب الزراعي والثروة الحيوانية لم تشهد أيَّ نشاطٍ أو تطورٍ يُذكر عَقِب وفاة الشاه عباس الأول وحتَّى سقوط الدولة الصفوية عام ١٧٢٢م.

الجانب الصناعي

عُدَّ العهد الصفوي في بدايتهِ مسرحاً لعملية التطوير والتجديد في كثيرٍ من الحِرَف والصنائع المختلفة، فقد شَهِدَت مدينة أصفهان حركةً معماريةً قلَّ نظيرها، فتمَّ بناء قصورٍ كبيرة ومساجد عظيمة، وصُنع البلُّور المنقوش والفسيفساء، وكان ذلك على عهد وأيام الشاه عباس الأول وقبلهُ من شاهات الدولة الصفوية، أمَّا مَن خلف الشاه عباس الأول فيمكن القول إنَّ الدولة الصفوية قد شَهِدَت عَقِب وفاتهِ انحلالاً اقتصادياً واجتماعياً كبيراً، وهو ما عكس الانحلال والتدهور السياسي ومثَّل نتاجاً طبيعياً له، لاسيَّما إذا ما علمنا أنَّ الشاه عباس الأول كان قد بذر بذور الأساس للكارثة التي حلَّت بالدولة الصفوية من بعدهِ[٣١].

وعلى صعيدٍ آخر، نجح الصفويون في أولى عهودهم من الانتقال بمهنة حياكة السجَّاد والنسيج من مهنةٍ قروية إلى نشاطٍ ذي طابعٍ عام، أصبح يؤلِّف جزءاً مهماً من اقتصاد البلاد، لاسيَّما عَقِب تأسيس أول مصنعٍ لحياكة السجَّاد في أصفهان أيام الشاه عباس الأول[٣٢]، وكان هناك ثلاث مجموعاتٍ من المنسوجات الحريرية الصفوية، وهي: منسوجات حريرية سادة، ومنسوجات حريرية موشَّاة، ومنسوجات حريرية مخملية، واستُخدمت إمَّا في ملابس الأمراء أو النبلاء أو لعمل الستائر والأغطية أو إهداء الشاه لمن يود تكريمه، وقد اشتملت مواضيعها على الموضوعات التي تخص الإنسان ورسوم الحيوانات والطيور والزهور، وأخذت أكثر المناظر والموضوعات من الملاحم مثل الشاهنامة، أو من الأشعار العاطفية كأشعار نظامي الكنجوي (١١٤١-١٢٠٩م)، أو تُزيَّن بمناظر تُمثل الأمراء الصفويين وهم في رحلة الصيد[٣٣].

عُرفت المنسوجات الصفوية في عهد الشاه عباس الأول بتطورها وجودتها، حتَّى قُدِّر مَن يعمل بسوق النسيج في أصفهان ما يُقارب خمسة وعشرون ألف عامل، أي أنَّ عدد المشتغلين بنسيج الحرير كان يفوق عدد المشتغلين في الصناعات الأخرى، إلى جانب أقمشةٍ صوفية كانت غايةً في الجودة، والتي تُصنع من صوف كرمان وتشبه الأقمشة الحريرية، وقيل بأنَّ عُدد الحياكة كانت تُغطِّي المسافة بين ميدان المدينة المركزي ومبنى (جهل ستون)، وقُدِّرت المسافة بأكثر من خمسمائة

متر[٣٤]، هذا واشتهرت مدن كرمان، وكاشان، وهمدان بصناعة السجَّاد، حتَّى أصبح يُعرف تبعاً لمكان إنتاجهِ، فيُقال: إنَّها سجَّادة كرمانية أو كاشانية أو همدانية، وكان صانع السجَّاد في العهد الصفوي يبدأ تدريبهُ الفني منذ صغرهِ، ويستغرق الوقت لإنتاج السجَّادة الواحدة بين ستة أشهر وسنتين، أو ربما أكثر تبعاً لحجمها ودقَّة نقوشها، وكثرتها أو قلَّتها ودرجة امتيازها[٣٥].

أمَّا صناعة الخزف فيمكن أنْ تُعد مدينة كاشان مركزاً رئيساً في صناعة الخزف، وقد اقتُبس اسم (الكاشي) أو (القاشي) من هذهِ المدينة، على اعتبارهِ نوع من الخزف الصقيل، وكانت أصفهان ومشهد مركزين رئيسين في صناعة الخزف، ولم يلجأ الخزفيون الأصفهانيون إلى تقليد الخزف الذي كان يُصنع في العهود السابقة، وإنَّما أحدثوا عليه تغييراً وتجديداً استخدموا خلالها قوة الخيال والإبداع، ركَّزت في موضوعاتها على رسم المناظر الطبيعية ذات الطيور والحيوانات والنباتات بطريقةٍ تعبيرية[٣٦]، وقد انتظم الصناعيون والحِرفيون ضمن تنظيماتٍ حِرفية باسم الأصناف والبيوتات، ورأسها المُعلِّمون الذين ينتخبون ممثلهم (كدخدا) الذي كان يعمل بالتنسيق مع النقيب على رعاية مصالحهم وحمايتهم من التعدِّي، كما ويتعاون مع (الكلانتر) المُعيَّن من قبل الحكومة، إذْ لا يُسمح لصاحب العمل بأنْ يعتدي على الضعفاء من العمَّال والصُنَّاع، وبهذا فإنَّ الترتيب حسب الأصناف يكون بالتدريج بدأً من شيخ الصنف والكلانتر، فالكدخدا ثمَّ المُعلِّمين وأخيراً العمَّال[٣٧]، وقد تمتَّع العمَّال والصُنَّاع الحِرفيون بتسلم (جراية) أي راتباً مخصَّصاً، ويكون عادةً طبقاً من الطعام يكفي لستة أو سبعة أشخاص، أو يأخذ بدلاً عنها مبلغاً نقدياً يبلغ عشرين تومناً في السنة، إلى جانب عددٍ من الامتيازات مثل بقائهم في العمل مدى الحياة[٣٨].

كانت صناعة الساعات إحدى الفنون الغربية المُلفتة للنظر خلال العهد الصفوي، وكان الشاه صفي قد بعث برسالةٍ إلى ملك إنكلترا تشارلز الأول Charles I (١٦٠٠-١٦٤٩م) يسألهُ فيها أنْ يُرسل إليه عدداً من أمهر الحِرفيين في صناعة المينا والساعات والبنادق. كما أوكل الشاه سليمان إلى أحد المختصين الأوربيين مهمة إعداد مشروع عِمراني كبير، يتمثل بشقِّ نفقٍ بين جبل (كوه رنك) و (زاينده رود)، إلَّا أنَّ هذا المشروع لم يتحقَّق، بسبب تدخل رجال البلاط في إدارة أمور الدولة بشكلٍ كبير[٣٩].

الجانب التجاري

أضحت قضية الحرير التي كانت تُشكِّل عماد التجارة الصفوية احتكاراً ملكياً للشاهات الذين خلفوا الشاه عباس الأول في الحكم، فلم يسمحوا لأيِّ أحدٍ بأنْ يُشاركهم فيه بتاتاً؛ لأنَّ أوروبا كانت تستهلك منه أيام حكم الشاه صفي وتحديداً عام ١٦٣٠م، أكثر من مليون رطل وبلغت تكلفة الرطل الواحد ثمانِ شلنات، في حين كان يُباع في أوروبا باثنا عشر شلناً، وقد تجاوزت أرباحه أكثر من ذلك في بعض الأحيان، وبحكم تلك الأهمية التي تميَّز بها الحرير الصفوي فقد أُطلق على الحرير المار من الدولة الصفوية إلى الصين اسم (طريق الحرير)[٤٠]، وفي المُقابل تعرَّضت تجارة الحرير إبَّان فترة الضعف والانحلال الصفوي إلى خسائر جسيمة، من جرَّاء تعرض محلَّات الحرير الملكي للسرقة والسَّلب، وتعرض القوافل التجارية التي كانت تنقلهُ من داخل البلاد إلى الخارج لعمليات

القتل والسَّلب والنَّهب، فضلاً عن انعدام مخزون الحرير ممَّا أدَّى إلى تدهور التجارة، التي كانت تدر الكثير من الأموال لخزينة الدولة، لذا فإنَّ ضعف الإدارة وانشغال الشاهات الأربعة (صفي، عباس الثاني، سليمان، سلطان حسين)، وإنفاقهم الأموال على ملذَّاتهم الخاصة أدَّى إلى أنْ يحظى الأوربيون بامتيازاتٍ اقتصاديةٍ كبيرة، إذْ وصلت أعداداً منهم للمدن الصفوية لتحظى برعايةٍ خاصة من قبل الحكَّام ورجال الحاشية والبلاط، وانتشرت الرشوة بشكلٍ كبير بين الحكَّام والمتنفِّذين من أجل الحصول على هذهِ الامتيازات، حتَّى وصلت الرشوة للشاه صفي نفسه، الذي سمح للتجَّار البريطانيين مزاولة تجارة الحرير، وإمكانية شراء أيَّةِ كميةٍ يريدونها من الحرير وإدخال بضائعهم دون ضرائب، مع رعاية مصالحهم التجارية في مدينتي شيراز وأصفهان، كما سهَّل مسألة تجديد الامتيازات بأنْ تحصل بعد وفاة أيِّ شاه، فأمر التجديد صحيح من حيث الشكل، أمَّا المضمون فلم يُقدم أحد من خلفاء الشاه على إلغاء الامتيازات الأجنبية، إذْ جدَّد الشاه صفي عام ١٦٢٩م امتيازاً كان قد منحهُ الشاه عباس الأول عام ١٦١٧م للأوربيين، بعد أنْ تعهَّدوا للشاه صفي بشراء الحرير بما يُقدَّر قيمته عشرون ألف تومان، على أنْ يدفعوا المبلغ نقداً، كما تبادل الشاه ورجال حاشيتهِ في البلاط وكبار موظَّفيه هدايا سنوية من الأقمشة الفاخرة وأدوات المائدة بما قيمتهُ خمسمائة تومان أو أكثر، وقد أهدى البلاط الملكي إلى وفدٍ قادم من هولشتاين بألمانيا عام ١٦٣٧م أثواباً وقماشاً، ما يزيد عن مائتي قطعة من أفخر أنواع الحرير بما فيه الساتان والدمسقيات[٤١].

استمر الهولنديون في عهد الشاه صفي بشراء كمياتٍ كبيرة من الحرير الصفوي من مصادرهِ، إلَّا أنَّ الشاه صفي كان يخشى سطوة الهولنديين حتَّى وصل بهِ الحال إلى تبديل كلِّ موظَّفي الضرائب المُرتشين، فعندما تناهى إلى مسامعهِ أنَّ هؤلاء الموظَّفين يضغطون على الهولنديين بتحريضٍ من الإنكليز بادر إلى استبدالهم في كلِّ الموانئ، ممَّا ساعد شركة الهند الشرقية الهولندية على الاستمرار بتجهيز الصفويين بكمياتٍ كبيرة من القرنفل بقيمة سبعمائة ألف روبية، هذا وقام الهولنديون في عهد الشاه عباس الثاني وتحديداً في عام ١٦٤٦م، بإجبار الشاه على القبول بأسعارهم التي حدَّدوها للحرير الصفوي، فوافق الشاه على السعر المعروض، وازداد حجم تعاملهم التجاري أضعاف نظيرهُ مع الإنكليز والبرتغاليين[٤٢].

وفي سابقةٍ من نوعها ازدهرت التجارة في مطلع عهد الشاه سليمان، وأصبح ميناء بندر عباس يستقبل معظم السفن الهولندية الذاهبة للبصرة والقادمة منها، إذْ يجد التجَّار كلَّ ما يحتاجونه من سلعٍ كالمنسوجات والتوابل والسكَّر والنحاس والذهب والفضَّة، إلَّا أنَّ التجارة الهولندية قد تراجعت أواخر عهدهِ تدريجياً، حتَّى بلغت كمية الحرير التي يشترونها إلى ثلاثمائة بالة في العام الواحد بعد أنْ كانت ستمائة على عهد الشاه عباس الثاني، ويرجع ذلك في أساسهِ للحروب التي خاضها الهولنديون في أوروبا[٤٣].

أظهر الشاه سلطان حسين ميلاً للإنكليز، فقام بتجديد امتيازاتهم عام ١٦٩٧م، وفقاً للعُرف السائد في الدولة الصفوية، كما زار الشاه سلطان حسين مع نسائهِ المقر الرئيس للتجارة الإنكليزية في أصفهان عام ١٦٩٩م، واستقبلهُ الإنكليز استقبالاً حافلاً، ووضع مخازن الشركة تحت تصرفهِ، يُعطي

منها ما يشاء لمرافقيه[٤٤]، وكما هو معلوم أنَّ الدولة الصفوية قد صدَّرت إلى أوروبا بضائع متعددة، منها: الأقمشة الذهبية، الأقمشة المنسوجة من حرير جيلان، السجَّاد بأنواعهِ، الصوف، الجلود الناعمة لتجليد الكتب والصناديق، الحصران، سلال مصنوعة من القصب يُصنِّعها أهالي سيستان، فضلاً عن جلود الأغنام. أمَّا ما استوردتهُ الدولة الصفوية من أوروبا من البضائعِ والحاجيات، فهي: فرشاة الملابس، أقمشة صوفية خفيفة، أقمشة مختلفة، معادن الرصاص، القصدير، الفضَّة، الساعات الجدارية، الشمعدانات، نصول السيوف، أواني المطبخ، وقطع الكريستال[٤٥].

رابعاً: موارد وممتلكات الشاهات للمدَّة (١٦٢٩-١٧٢٢م)

النقود

سُكَّت النقود الذهبية والفضية في العهد الصفوي بأمر الشاه وتحت إشرافهِ المباشر، باستثناء العُملة النحاسية مثل الفلس، فإنَّها يُمكن أنْ تُسك في الأقاليم وبإشراف حُكَّامها للحيلولة دون الانتفاع الخاص للحُكَّام من سكِّ العُملات الذهبية والفضية، إلَّا أنَّ العُملة النحاسية لم تحمل أسماء حُكَّام الولايات إنَّما تحمل صورة (إنسان، حيوان، أو طير) وعلى الوجه الثاني أسم العُملة ومحلِّ وسنة سكِّها[٤٦]، وقد ضُربت العُملة الصفوية في المدن الرئيسة، مثل: تبريز، أصفهان، قزوين، همدان، كاشان، شيراز، مشهد، أردبيل، وغيرها. وحملت هذهِ القطع نقوشاً مختلفة إذْ كانت النقوش الدينيَّة على إحدى الوجوه والنصوص السياسية على الوجه الآخر، أمَّا النقش الذي كان سائداً في عهد الحكَّام الصفويين باستثناء عهد الشاه إسماعيل الثاني هو التشهُّد (لا إله إلَّا الله، مُحَمَّد رسول [أو نبي] الله، عليٌّ ولي الله)، فضلاً عن أسماء الأئمَّة المعصومين الاثني عشر (عليهم السلام)، إلى جانب عددٍ من الآيات القرآنية الكريمة، أو عددٍ من الشعارات الدينيَّة وأحياناً يكتفون دونها، كما درج الصفويون على كتابة ألقاب شاهاتهم بخطِّ النَّسخ العربي، بوصفهِ ربطاً بين صفتهم الدينيَّة والمذهبية وصفتهم السياسية، ومن هذهِ الألقاب: السلطان الكامل والعادل والهادي والولي والغازي في سبيل الله، المظفَّر شاه إسماعيل بهادر خان الصفوي الحسيني خلَّد الله مُلكهُ وسلطانه[٤٧]، وقد استخدم هذا الشكل الشاه إسماعيل الأول، وابنهُ طهماسب، وإسماعيل الثاني، ومُحَمَّد خدابندة، والشاه عباس الأول، في حين استخدم الشاه سلطان حسين عبارة (السلطان ابن السلطان الخاقان ابن الخاقان)، وكانت هذهِ العبارات تُكتب باللغة العربية كما وكُتبت غيرها، وكان الأشهر من بينها: (غلام إمام مهدي (عليه السلام))، غلام علي بن أبي طالب (عليه السلام)) اللتان استخدمها الشاه طهماسب الأول وابنه الشاه مُحَمَّد خدابندة، وعبارة (بندة شاهي ولايت الشاه العبد المؤمن) والتي استخدمها الشاه عباس الأول، وعباس الثاني، وسليمان، وسلطان حسين[٤٨].

أطلق الصفويون كلمة (زر) والتي تعني (الذهب) على كلِّ قطع النقد، وكلمة (سيم) والتي تعني (الفضَّة)، وكانوا يميزون العُملة الفضية عن العُملة الذهبية باستخدام كلمة (درهم) للعُملة الفضية وكلمة (دينار) للعُملة الذهبية[٤٩]، أمَّا عن أنواع العُملات المُتداولة والتي كانت على درجةٍ كبيرة من الأهمية خلال العهد الصفوي، فيأتي في مقدمتها: (اشرفي): والذي كان من أبرز العُملات الصفوية رواجاً، و (عباسي): والتي

ظهرت مع ازدهار التجارة وتطورها في عهد الشاه عباس الأول، والذي أمر بسكِّ عملةٍ نقدية فضية باسمهِ تُعادل اثنان محمودي والعباسي يساوي (١/ ٥٠) من التومان، ووزن العباسي يساوي مثقال واحد وأربع دانة، وبمرور الزمن وتحديداً في عهد الشاه سلطان حسين تمَّ تقليل وزن العباسي فصار يساوي (٤٠٦) غم، والنوع الثالث من العُملة فهو (شاهي)، وهو أصغر قطعة فضية تساوي أربع بنسات ونصف فرنسية ويساوي تسع بنسات عباسي، كما كانت هناك عملة فضية نُسبت لحاكم (لار) وزنها بين (٤،٥-٥) غم وهي مستطيلة الشكل أصبحت لها قيمة عالية في عهد الشاه صفي[٥٠]، كما عُرف الدينار والذي كان يُبدَّل كلَّ عام، إذْ كانت كلُّ مدينةٍ تُبدل النقش الموجود فوق عملة الدينار، وكلَّ خمس وعشرين ديناراً كان يساوي ثمن عباسي، والذي اشتهر أيضاً باسم (بيستى) ويصبح نصف شاهي، أمَّا عملة الشاهي فهي تساوي خمسين ديناراً أو اثنين بيستى أو أربعة عباسي، أمَّا اثنين شاهي أو مائة دينار فقد كانت عملة مشهورة بـ(نصف عباسي) وكانت عملة العباسي من الفضَّة الخالصة وتساوي أربعة شاهي أو مائتي دينار[٥١].

عرف العهد الصفوي المتأخر عَقِب الشاه عباس الأول العديد من العُملات، إذْ كان الشاه صفي كأجدادهِ يُلاحظ في كلِّ عملاتهِ شعاراتٍ مثل: (هست ازجان غلام شاه صفي) أي: روح الشاه صفي خادم أهل البيت، و (تبده شاه ولاية صفي) أي أنَّ الشاه صفي عبد سلطان الولاية، وهناك عملاتٍ تُنقش عليها رموز تكون عبارة عن علاماتٍ تُسكُّ على العُملة من أجل السيطرة عليها، وقد راجت في عهد الشاه صفي النقود الذهبية والفضية والمعدنية، كما احتوت عملات الشاه عباس الثاني شعارات وأسماء الأئمة باللغة العربية، مثل: (اللهم صلِّ على النَّبي والوصي والبتول والسبطين.. إلى آخر الأئمة) (عليهم السلام)، وضُربت عملات الشاه عباس الثاني النقدية الذهبية في دور ضرب النقود في أردبيل وأصفهان، وأغلبها الذهبية التي تساوي (٢،٥) اشرفي و (١٠٠٠) دينار، والفضية مثل البيستى وتساوي (٢٠) ديناراً، و (١) شاهي يساوي (٥٠) ديناراً، ومُحَمَّدي يساوي (١٠٠) دينار، وكانت العُملة في عهد الشاه سليمان كسابقتها من العهود مُزيَّنة بالشعارات الدينيَّة وأسماء الأئمَّة الاثني عشر، إلَّا أنَّه من النادر ما تجد في عهدهِ عملة بوزنها الصحيح، لذا أصدر الأوامر لإعادة ضرب النقود بأوزانها المعروفة، أمَّا دور ضرب العُملات فكانت تضرب في عهدهِ بمدن إيروان، تبريز، تفليس، أمَّا العُملات في عهد الشاه سلطان حسين فكانت تشبه مثيلاتها في عهود الشاهات السابقين من ناحية أسماء الأئمة وألقاب الشاه والشعارات المذهبية، وأكثر العُملات المتداولة كانت (المحمودي وحويزة)، وتفاوتت العُملات الذهبية في عهدهِ مع العُملات الفضية، وذلك بسبب عدم مراعاة دور الضرب في الولايات الصفوية للمُواصفات والمقاييس الموجودة في الضرب، فضلاً عن ضعف الحكومة المركزية، كما ظهرت في عهدهِ الكثير من العُملات المُزيَّفة التي كانت تُغطِّي الأسواق، إذْ أمر الشاه سلطان حسين بإعادة ضرب النقود الذهبية اضطراراً، وذلك بعد تزايد ضغط الأفغان على الدولة الصفوية، كما أراد أنْ يؤمِّن مصاريف الدفاع ورواتب قوات جيشهِ من أجل الصمود أمام تهديدات الأفغان، لذا أمر الشاه سلطان حسين بضرب عملة الأشرفي الذهبية

عـام ١٧١٧م. وممَّـا تجـدر الإشـارة إليـه أنَّ عهـد الشـاه صفي والشاه عباس الثاني وحتَّى عهد الشاه سـليمان كانت العُملات الذهبيـة تُضرب من أجل تقديمها هدايا في احتفالات عيد النوروز[٥٢].

وعـلى صعيـدٍ آخـر، كانـت النقـود تُسـك في مؤسَّسـاتٍ حكوميـة يُطلـق عليهـا اسـم (ضرب خانـة) أي دار الـضرب، ويـرأس الواحـدة منهـا موظَّـف يُسـمَّى (ضرَّابي بـاشي) أي رئيـس الضرَّابـين، وكان يعمـل تحت نظر (معـير الممالك) وهـو المسـؤول عـن صحَّـة ووزن المسـكوكات، ومنصـب معير الممالك من المناصـب القديمة إذْ إنَّ مَـن يتولَّى هـذا المنصب يكون مـن أصحاب الخبرةِ والاطـلاع في شـؤون الذهب والفضَّـة والعُملات النقديـة وأوزانهـا وعيار المعدن ومعرفـة العُملات المغشوشـة، فضلاً عن السيطرة على أعمال الضرَّاب خانة، كذلك فهو المُشرف العام على طبع العُملات النقديـة بموازيـن ثابتـة معروفـة دون زيـادةٍ أو نقصـان، لـذا فـإنَّ صاحـب هـذا المنصـب يتمتَّـع بالاحـترام والاعتبـار لدى أمـراء الدولـة، إذْ كان الشـاه وأمراء الدولة الصفوية يحولون جميع الأمور المتعلِّقـة بالمسـائل النقدية ومعرفـة المجوهرات إلى معيِّر الممالك، كما أُسندت إليه مهمة تعيين الضرَّابين والمُشرفـين والمعيِّرين والسـبَّاكين وكلَّ العاملين في الـضرَّاب خانة، فضلاً عن أنَّ جميع عمليات سـكِّ النقـود التي تجـري في الضرَّاب خانـة هي عملياتٍ يدوية وليسـت ميكانيكيـة أو شـبه ميكانيكية[٥٣]، ومن المهم الإشـارة إلى أنَّ الحكومة الصفوية كانت تُغـيِّر العُمـلات المعدنيـة كلَّ عـامٍ في عيـد تتويـج الشـاه، وكانـت تحمـل علامـاتٍ مميـزة فالعُملات المعدنية في أصفهان كانت تحمل صورة الأسد، وفي كاشـان صورة الديك، وفي جيلان صورة السمكة وهكذا، وكانت تفقد قيمتها كلَّما مرَّ عليها عام بعد عـام، وصارت تُسـتخدم في المناطق المجاورة لدور الـضرب، إلَّا أنَّهـا ملغيـة في عموم المـدن الصفوية التـي أصبحـت تسـتخدم المحمـودي في تعاملاتها التجارية باستثناء الحويزة[٥٤].

الضرائب

قُدرت نسبة الضرائب المفروضة على المحاصيل الزراعية ما يُقارب (١/ ٦) كومة (بيدر) على الحنطة والشـعير، ومبلغ سـتة وستون شـاهي على مساحةٍ معينـة من الأرض الزراعية والمراعـي والحقول، أمَّا المسـاكن المؤجَّـرة وغيرهـا فيؤخذ منها مبلغ بنسـبة (٥٪) مـن مبلـغ الإيجـار، أمَّـا الضرائـب المفروضة عـلى المناطق التـي يسـكنها النصـارى وغيرهم من أصحـاب الأديان الأخرى، فـإنَّ المبلغ قد يُضاعف عليهـم ليصـل إلى (٧-٨) دوكات، لـذا عـاش الفلَّاحـون في أوضـاعٍ اقتصاديـة سـيئة، فلـم تكن مواردهـم تكفي لسـدِّ قوتهـم، إذْ عانوا مـن النظام الإقطاعـي الـذي شـكَّل أساسـاً للدولـة الصفوية كونـه يقـوم بدعـم رؤسـاء القبائـل والإقطاعيـين، ويسـحق الفلَّاح ويجعلهُ الحلقة الأضعف في النظام السـياسي - الاقتصـادي، وعلى سـبيل المثال حاول الشـاه سـليمان منح رجـال المؤسَّسـة الدينيَّة أراضي خاصة بهم لكسـبهم وعدم معارضتهم لحكمهِ، لذا حولوا أراضيهم إلى أوقافٍ معفية من الضرائب التي كانت تُفرض على غيرها من الأراضي ممَّا أثقل كاهل الطَّبقات الدنيا، كما شَـهِدَ عهد الشاه سلطان حسين ازدياد حجم الضرائب المفروضة على السـكَّان، فقد ارتفعت نسبة الضرائب المفروضة على القرى بمقدارٍ يـتراوح ما بـين مرتين إلى ثلاث مـرات، ولم تنجُ من الضرائب الجديدة حتَّى العشـائر المتنقِّلة التي كانت لا تخضع للضرائب الحكومية من قبل مطلقاً[٥٥].

كـما فُرضت الضرائـب على الحيوانـات إذْ كان صاحـب القطيـع يدفـع مبلغ خمسـة عشر مـن فئة العشرين ديناراً سـنوياً، أي ما يُعادل ثلاث دوكات عـن كلِّ (٤٠) رأس مـن الأغنام، أمَّـا الأبقار فإنَّ مالكهـا يدفع مبلغ عشرة من فئة العشرين دينار أي (٢) دوكات سنوياً[٥٦]، ومن المعلوم أنَّ البلاد تكثر فيهـا القطعان والماشـية؛ لذا فإنَّ سُـبع ما تنتجهُ من الصـوف وسُـبع ما تلد مـن الأغنام يأخذها الشـاه مُلكاً له، فضلاً عن الجمال والماعز التي توفِّر اللحوم والألبـان، وكان لجلودهـا وأوبارها أهميـةً بالغة في الصناعات النسيجية[٥٧]. إلى جانب هذهِ الضرائب والمـوارد المالية هنـاك ما يُجبـى بوسـائلٍ مختلفة، إذْ هناك ستة مصادر من الضرائب استحصلتها الدولة الصفوية من الأهالي، منها الضرائب المفروضة على الأراضي الزراعيـة والمسـاكن وقطعـان الماشـية، والضرائـب المفروضـة عـلى الأراضي التـي يتـم اسـتئجارها من قبل الأهالي، والضرائب المفروضة عـلى الأحجـار الكريمـة والمعـادن مـن الذهـب والفضَّـة وصيـد الأسـماك مـن الأنهـار والبحـار، والضرائـب المفروضة على سـكِّ النقود، فضلاً عن الجزيـة المفروضة عـلى غير المسـلمين أي الأقليات من النصارى واليهود والزرادشت والهنود (السيخ والهندوس)، وفيما يتعلَّق بالضرائب المفروضة على عمليـات البيع والشراء فقـد كانت مجحفةً بحقِّهم، إذْ إنَّها لم تكن ثابتة وإنَّما تتغير حسب ظروف البلاد السياسـية والاقتصادية، فمثلاً بلغت ضرائب محلَّة (جلفـا)[٥٨]، في عهـد الشـاه عبـاس الأول تسـعة آلاف فرنـك فرنـسي، إلَّا أنَّهـا أصبحـت في عهـد خليفتهِ الشاه صفي ثلاثة عشر ألف فرنك.

أمَّـا عن طريقـة جبايـة الضرائب فإنَّهـا تُحصَّل عـن طريـق الشرطـة والجُبـاة، وإذا لم يكـن لـدى المـؤدِّي مـالاً حـاضراً، فإنَّه يدفـع عن كلِّ أسـبوعٍ تأخير نصف بالمائة من المبلغ المفروض[٥٩]، في حين انتظمت الرسوم الكمركية في سلسلةٍ من الضرائب عُرفت باسـم (رسـم) كان من بينها الرسم المدفوع لحـارس بوابـة المدينـة وسُـمِّي بـ(رسـم البوابـة)، وحـراس بوابـة المدينـة هـم معاونـين للدراوغـة: والذي يُعد رئيسـاً للتأمينات وفي حدودٍ معينة كان لـه حقَّ القضاء ويعمل تحت إمـرة (الديوان بيكي) وتمتع براتبٍ جيد تراوح بين (٣٠٠-٥٠٠) تومان، وعـلى هذا فـإنَّ للدراوغـة معاونين كانوا يُسـمَّون بـ(الأحـداس)، وعلى ما يبـدو أنَّ اللفظ الصحيح لكلمة الأحـداس هـو (الأحـداث)؛ لأنَّ الكُتَّاب الصفويـين لا يلفظون حرف (ث) وإنَّما يقلبونهُ إلى حـرف (س)، وكان للأحـداث عدَّة أسـماء، مثل: عسس باشي، سـلطان الليل، دزدكير (أي: ماسك اللصـوص)، تبكيرد (أي: الحارس الليلي وحارس بوابة المدينة)، أمَّا (شاردن) فيُسمِّيهم (حكَّام الليل - الحارس)[٦٠].

العائدات والأملاك

بعد أنْ اسـتطاع شـاهات الدولـة الصفوية أنْ يكوِّنوا قوةً عسـكريةً مدرَّبة ومسـتقلة عن القبائل، لجـأوا إلى الأراضي فوزعوهـا تيـولاً وهدايـا، أو مرتبـات للقـادة والجُنـد، أو الاعتماد عـلى عائدات الأراضي لتوزيعهـا كمُرتبـاتٍ لهـم، لـذا تمكَّـن الشـاهات مـن التدخل في شـؤون الممالـك، والتي صـارت نظريـاً تحـت سـيطرة الشـاه، عـلى الرغم مـن وجـود أراضي يمتلكهـا الأهـالي بمُسـتنداتٍ رسـمية، ليس للدولة حـقٌّ عليها سـوى الضريبة، إلَّا أنَّ للشـاه الحـق في تحويـل الأراضي إلى مُلكيتـهِ عـن طريـق المُصـادرة كلَّـما أراد، إذْ إنَّ الأراضي في الدولة الصفوية قُسِّـمت على أربعة أقسـام، شَـمِل

القسم الأول: أملاك الشاه والتي أشرف عليها، وكانت توزَّع في عموم الولايات، وتعود عائداتها إلى الخزانة الشاهنشاهية، إذْ قام الشاه بإهداء أملاكٍ خاصة (سيورغال) لأشخاصٍ معينين، فقد أهدى الشاه صفي إلى السيد ميران يزدى بن نعمة الله الذي تصاهر مع الأسرة الصفوية، وسيورغال كانت تدُر عليه أرباحاً سنوية بلغت خمسة آلاف تومان، فيما تمَّ تأجير أراضٍ أخرى من الشاه لمُزارعين ولأشخاصٍ معينين، مقابل ثلث ما تُنتجه سنوياً، أمَّا القسم الثاني: فهي الأراضي الخاضعة لإشراف حكَّام الولايات وكانت عائدة للدولة في الولايات وضعت تحت إشراف الحكَّام المحليين، وصُرفت عائداتها على موظَّفي الدولة المحلية وجنودها، وكانت تُسمَّى بـ(أرض الممالك)[٦١]، وبتولِّي الشاه صفي الحكم عام ١٦٢٩م عرض الوزير الأعظم مقترحاً بسحب جميع الأراضي من الولاة، وتحويلها إلى مُلكية البلاط، بسبب عدم الحاجة إلى الجيش وعدم خوض الحروب، من أجل مضاعفة موارد الشاه لتبلغ مائة وخمسين ألف تومان سنوياً، وشَمِل القسم الثالث: أراضي الأوقاف المُسخَّرة للأمور الخيرية، ورعاية العتبات المقدسة وإعمارها، فضلاً عن الأملاك الديوانية (سيورغال) والتي تعني الإنعام والهبة، وكانت تُهدى لكبار رجال الدولة والتصوف والدين للانتفاع بها وعادةً ما يُديرها رجال الدين، وتضمَّن القسم الرابع: الأراضي المملوكة مُلكاً مطلقاً للأهالي وسُميت بـ(التيول)، إذْ أصبح بإمكان الشاه أنْ يؤمِّن على رواتب القوات المُسلَّحة والحصول على المؤن والأعلاف لقواتهِ، ومَن يحصل عليها يُسمَّى (تيول دار)[٦٢].

وفيما يتعلَّق بالعائدات، فلم يُعرف بالضبط مقدار مالية الشاه الصفوي إذْ عُدَّ ذلك من الأسرار، وكانت عائدات الدولة تأتي بالدرجة الأولى من المحاصيل الزراعية بنسبة السدس من محصول الأراضي، و (٥٪) من أموال الإيجارات والخراج للمُسلمين، ومن الرسوم المفروضة على محطَّات الاستراحة في الطُّرقات، وبلغت عائدات الدولة في العام الواحد من (٦٤٠٠٠٠- ٧٠٠٠٠٠) تومان، أمَّا العائدات المُستحصلة من بيع الأدوات المتداولة في أواخر العهد الصفوي فلم تكن ذات نسبٍ كبيرة مقارنةً مع العهود الأخرى، وعلى سبيل المثال: إنَّ عوائد خزانة السلطنة من بيع التبغ حسب قول (شاردن) قد بلغت في عهد الشاه عباس الثاني قرابة عشرين ألف تومان، وطبقاً لأقوال القس المسيحي (سانسون) كانت في عهد سلطنة الشاه سليمان بحدود خمسة وخمسين ألف تومان[٦٣]، وبلغت الواردات السنوية في عهد الشاه عباس الثاني والشاه سليمان الصفوي حوالي سبعمائة ألف تومان، ومن أشهر عوائد الخزانة الملكية المهمة في تلك المدَّة الواردات التالية[٦٤]:

- من أراضي ديوان الممالك، أو الولايات التي لم تكن جزءاً من أملاك السلطنة الخاصة بحدود (٢،٠٠٠،٠٠٠) ليور.
- من الأراضي الخاصة، أي أملاك الشاه بحدود (٣،٨٥٠،٠٠٠) ليور.
- ضرائب التبغ والتتن وغيرها بحدود (٦،٠٠٠،٠٠٠) ليور.
- ضرائب الحراسة والكمارك وغيرها بحدود (٦،٠٠٠،٠٠٠) ليور.
- الهدايا والهبات بحدود (٦،٠٠٠،٠٠٠) ليور.

الخاتمة

شَـهِدَ العهـد الصفـوي المتأخر وتحديـداً خلال المـدَّة (١٦٢٩-١٧٢٢م) تدهـوراً واضحـاً عـلى الصعيد الاقتصادي، بسـبب عدم وجود شـخصية كفوءة ومقتدرة بمُسـتوى الشـاه عباس الأول لتولِّي دفَّة الحكـم الصفوي، إذْ لم تشـهد الدولـة الصفوية في فـترة الضعف والانحـلال أيَّ تطورٍ أو اسـتقرارٍ اقتصـادي بالمسـتوى الـذي كانـت عليـه الدولـة الصفوية في عهد الشاه عباس، وظلَّ خلفاؤه غارقين في المفاسـد واللهو، والانغـماس في أعمال المُنكر دون الاهتمام بمُقدَّرات البـلاد الاقتصادية، نتيجةً لذلك سارت الدولة الصفوية في النصف الثاني من عهدها نحو الضعف والانهيار والهاوية؛ وكان ذلك بسـبب السياسة الدموية التي اتبعها الشاهات، ومنهم الشاه صفي فضلاً عن ظاهرة تحكم الغلمان والنساء بأمور الدولة في نواحيها كافَّة، وكان ذلك على عهد الشـاه عبـاس الثـاني، إلى جانب الشـخصية الضعيفة التي امتاز بها الشاه سليمان، والتي وقع إثرها تحت سطوة وتأثير الأمراء والمستشارين وأفراد حاشيتهِ؛ لذا فإنَّ تولِّي الشـاه سلطان حسين حكم الدولة الصفوية قد صبَّ في مصلحة أمراء وأشراف ورجالات البلاط؛ للإبقـاء عـلى امتيازاتهـم ومراكزهـم الرفيعـة التـي اكتسبوها في الفترة الماضية من عهد الدولة الصفوية.

ونتيجةً لِمَا تقدم انعكست هذهِ الأمور بمُجملها عـلى الوضـع الاقتصـادي، إذْ تخلخلـت القاعـدة الاقتصادية الأساسية للصفويين، والمتمثلة بالفلَّاح الذي مثَّل نواة الاقتصاد وأساس بقائهِ، فلا غروَ أنْ تصبح الدولـة الصفوية مهيأةً تمامـاً لغزو الأفغان، والذين كانوا في عهدٍ سـابقٍ تحـت الحكم الصفوي ذاتـهِ، لاسـيَّما إذا ما علمنا أنَّ انحـلال إدارة الحكم في عهد آخر حكَّامهِ الشـاه سـلطان حسين، قد وفَّر أرضيـةً خصبـة لهـذا الغـزو عَقِب انحـلال الحكم الصفوي من الناحية الاقتصادية.

الهوامش
(Endnotes)

(١) ولد عباس ميرزا في السـابع والعشريـن من كانون الثاني عام ١٥٧١م في مدينة شيراز، وهو أحد أبناء الشاه مُحَمَّد خدابندة ابن الشـاه طهماسـب الأول ابن الشاه إسماعيل الأول بن حيدر ابن الشيخ جُنيد بن إبراهيم خواجه علي ابن الشـيخ صدر الدين موسـى ابن الشيخ صفي الدين إسـحاق الأردبيـلي، وأُمه مهـد عليا فخر النسـاء بيكم. تـولَّى العـرش الصفـوي وهـو لا يـزال في الثامنـة عشر مـن عمرهِ، فـكان عهد قوةٍ وحـزمٍ وإرادة. توفِّي بمنطقة أشرف في مازندران عـام ١٦٢٩م. للمزيد، يُنظر: مريم نـزاد اكـبري، مهربـان، **شـاه عبـاس كبير**، جـاب أول، ١٣٨٧هـ، ص٤١؛ عبد العزيز الجواهري، **آثار الشـيعة الإماميـة**، (طهران: ١٣٤٨هـ)، ص٦٦؛ سـلام خسرو جوامـير، **الشـاه عبـاس الكبـير وسياسـته الإصلاحيـة الداخليـة في إيـران (١٥٧١-١٦٢٩م)**، أطروحـة دكتـوراه غير منشـورة، جامعة بغداد، كليـة التربية (ابن رشد)، ٢٠١٢م.

(٢) محمـد سـهيل طقـوش، **تاريـخ الدولـة الصفويـة في إيـران (١٥٠١-١٧٣٦م)**، (بـيروت: دار النفائـس، ٢٠٠٩م)، ص١٣٩-١٤٠؛ بديع محمد جمعة، **الشـاه عباس الكبير**، (بـيروت: دار النهضة، ١٩٨٠م)، ص٧٩-٨٠.

(٣) حسـن كريـم الجـاف، **الوجيـز في تاريـخ إيـران**، (بغداد: بيـت الحكمـة، ٢٠٠٥م)، ج٣، ص٤٨-٤٩؛ محمد عبد اللطيـف البحراوي، **فتح العثمانيين عـدن وانتقال التـوازن الـدولي من الـبر إلى البحر**، (القاهرة: ١٩٧٩م)، ص١١٥.

(٤) ابتسام سـعود كنون، **العلاقات البرتغالية الصفوية (١٥٠٠-١٦٢٩م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البـصرة، كليـة الآداب، ٢٠٠٩م، ص٤٢؛ محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص١٤١.

(٥) نـصر الله فلسـفي، **إيـران وعلاقاتهـا الخارجيـة في العصر الصفوي (١٥٠٠-١٧٣٦م)**، ترجمة: محمد فتحـي يوسـف، (دار الثقافة للطباعـة، ١٩٨٩م)، ص١٧٩.

(٦) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، **حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي**، (الرياض: ١٩٨١م)، ص٧٥؛ عبد العزيز عوض، **دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث**، (بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م)، ج٢، ص١٧٤-١٧٦.

(٧) سلام خسرو جوامير، مرجع سابق، ص١٤٨.

(٨) حسن كريم الجاف، مرجع سابق، ج٣، ص٤٨؛ محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص١٤٢.

(٩) سلام خسرو جوامير، مرجع سابق، ص١٥٤؛ محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص١٤٢-١٤٣.

(١٠) بديع محمد جمعة، مرجع سابق، ص٨٧؛ سلام خسرو جوامير، مرجع سابق، ص١٥٤.

(١١) عملة نقدية فضية مغولية ومعناها الضَّاربة إلى البياض، ووزنها يساوي أربعة غرامات فضية. يُنظر: عباس العزاوي، **العراق بين احتلالين**، (بغداد: ١٩٤٩م)، ج٤، ص١٤٤.

(١٢) مشعل مفرح ظاهر، **سياسة إيران الخارجية في عهد الشاه عباس الكبير**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠٠٠م، ص٢٨.

(١٣) جون ليمبرت، **إيران.. حربٌ مع التاريخ**، ترجمة: حسين عبد الزهرة، (البصرة: ١٩٩٢م)، ص٩٧؛ سليم واكيم، **إيران والعرب**، (بيروت: ١٩٦٧م)، ص١٥٧-١٥٨.

(١٤) محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص١٤٥؛ سلام خسرو جوامير، مرجع سابق، ص١٥٥.

(١٥) محمد المعموري، **الأسرة الصفوية.. شيوخها وملوكها (الصفوية التاريخ والصِّراع والرواسب)**، ط٢، (دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، ٢٠١١م)، ص١٩٠-١٩١.

(١٦) علي حسن علي، **تطورات إيران الداخلية في ظلِّ الاحتلال الأفغاني (١٧٢٢-١٧٢٩م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة واسط، كلية التربية، ٢٠٠٦م، ص١٢.

(١٧) محمد وصفي أبو مغلي، **إيران.. دراسة عامة**، (البصرة: مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٥م)، ص٢٥٥؛ محمد علاء الدين منصور، **تاريخ إيران بعد الإسلام (٨٢٠-١٩٢٥م)**، (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٩م)، ص٦٧٨؛ علي حسن علي، مرجع سابق، ص١٣.

(١٨) ناظم عبد الله سعيد، **مختصر تاريخ ملوك الدولة الصفوية**، (مكتبة صيد الفوائد الإسلامية، ٢٠٠٧م)، ص١٠٨؛ حسن كريم الجاف، مرجع سابق، ج٣، ص٥٤.

(١٩) حسن كريم الجاف، **موسوعة تاريخ إيران السياسي**، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٨م)، ص٥٤؛ علي حسن علي، مرجع سابق، ص١٤.

(٢٠) شاهين مكاريوس، **تاريخ إيران**، (القاهرة: دار الآفاق، ٢٠٠٣م)، ص١٥٨؛ لوريمر، **دليل الخليج**، القسم التاريخي، ص٦٠.

(٢١) حسن كريم الجاف، **الوجيز في تاريخ إيران**، ج٣، ص٥٥؛ حسن كريم الجاف، **موسوعة تاريخ إيران السياسي**، ص٥٥.

(٢٢) علي حسن علي، مرجع سابق، ص١٦-١٧؛ محمد المعموري، مرجع سابق، ص١٩٢.

(٢٣) كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط٥، (بيروت: دار العِلم للملايين، ١٩٦٨م)، ص٥٠٥-٥٠٦؛ ناظم عبد الله سعيد، مرجع سابق، ص١١٧؛ علي حسن علي، مرجع سابق، ص١٨.

(٢٤) دوسرسو، **سقوط الشاه سلطان حسين**، ترجمة: ولي الله شادان، (منشورات كتاب سرا، ١٩٨٥م)، ص٤٧.

(٢٥) أحمد كاظم محسن، **بلاد فارس في ظلِّ الحكم الافشاري (١٧٣٦-١٧٤٧م)**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، ٢٠٠٦م، ص١٧؛ علاء موسى كاظم، **العراق في العهد العثماني**، (بغداد: دار الحرية، ١٩٧٩م)، ص٨٨؛ علي حسن علي، مرجع سابق، ص١٨.

(٢٦) عباس إسماعيل صباغ، **تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية.. الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين**، (بيروت: دار النفائس، ١٩٩٩م)، ص٩٦؛ علي إبراهيم

درويش، **السياسة والدين في مرحلة تأسيس الدولة الصفوية (١٥٠١-١٥٧٦م)**، (بيروت: المركز العربي للأبحاث، ٢٠١٣م)، ص٢٣٧.

(٢٧) إياد عبد الرحمن شيحان، **التنظيمات الإدارية والمالية في الدولة الصفوية (١٥٠١-١٧٢٢م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة واسط، كلية التربية، ٢٠١٢م، ص١٣٦.

(٢٨) أ. ج. أربري، **الحدائق الفارسية (تراث فارس)**، ترجمة: محمد كفافي ويعقوب بكر وآخرون، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م)، ص٣٥٨.

(29) Peter Jackson and Laurence Lockhart, *the Cambridge History of Iran, (the Timurid and Safavid periods)*, Vol: 6, Edition 5, Cambridge University Press, London, 2006, p.493;

إياد عبد الرحمن شيحان، مرجع سابق، ص١٣٦.

(٣٠) عاصم حاكم عباس، **الإرساليات المسيحية في إيران خلال العهد القاجاري (١٧٩٦-١٩٢٥م)**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القادسية، كلية التربية، ٢٠٠٨م، ص١١-١٢؛ على إبراهيم درويش، مرجع سابق، ص٢٣٨؛ عباس إسماعيل صباغ، مرجع سابق، ص٩٦.

(٣١) إياد عبد الرحمن شيحان، مرجع سابق، ص١٣٧؛ علي حسن علي، مرجع سابق، ص٢٢.

(٣٢) علي أكبر ولايتي، **موسوعة الإسلام وإيران.. ديناميكية الثقافة وحيوية الحضارة**، ترجمة: عبد الرحمن العلوي، (بيروت: دار الهادي، ٢٠٠٧م)، ج٣، ص٤٠٨.

(٣٣) م. س. ديماند، **الفنون الإسلامية**، ترجمة: أحمد محمد عيسى، (مصر: دار المعارف، د.ت.)، ص٢٦٤.

(٣٤) حسن الأمين، **دائرة المعارف الإسلامية الشعبية**، ط٦، (دار المعارف للمطبوعات، ٢٠٠٢م)، مج١٤، ص٥٥٦؛ علي أكبر ولايتي، مرجع سابق، ص٤١٠.

(٣٥) صادق نشأت، مصطفى حجازي، **صفحات عن إيران.. عرض موجز لإيران في ماضيها وحاضرها من النواحي التاريخية والثقافية والاجتماعية**، (مطبعة مخيمر، ١٩٦٠م)، ص١١٠-١١١.

(٣٦) علي أكبر ولايتي، مرجع سابق، ص٤١٠.

(٣٧) الميرزا سميعا، **تذكرة الملوك**، به كوشش: سيد محمد دبير سياقي، (تهران: مؤسَّسة انتشارات أمير كبير، ١٣٧٨هـ.ش./ ٢٠٠٠م)، ص٤٧؛ علي إبراهيم درويش، مرجع سابق، ص٢٣٩.

(٣٨) إياد عبد الرحمن شيحان، مرجع سابق، ص١٤.

(٣٩) نصر الله فلسفي، مرجع سابق، ص١٩٠-١٩١؛ علي أكبر ولايتي، مرجع سابق، ص٤١٢-٤١٣.

(٤٠) علي حسن علي، مرجع سابق، ص٢٣. للمزيد عن طرق التجارة في العهد الصفوي، يُنظر: محمد جواد عبد الكاظم، **بلاد فارس في عهد الشاه طهماسب الأول (١٥٢٤-١٥٧٦م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية الأساسية، ٢٠١٤م، ص٢٠٢-٢٠٤؛ محمد عبد الرزاق العوفي، **الصِّراع الصفوي - العثماني**، (بنغازي: دار الكتب الوطنية، ٢٠٠٨م)، ص٩١-٩٤.

(٤١) باتريتيا بيكر، **المنسوجات الإسلامية**، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ٢٠١١م)، ص٢١٧؛ إياد عبد الرحمن شيحان، مرجع سابق، ص١٤٦؛ علي حسن علي، مرجع سابق، ص٢٤.

(٤٢) إياد عبد الرحمن شيحان، مرجع سابق، ص١٤٧. للمزيد عن العلاقات الصفوية الهولندية، يُنظر: نصر الله فلسفي، مرجع سابق، ص٢٠٥-٢٢٧.

(٤٣) هيفاء عبد العزيز الربيعي، **غزاةٌ في الخليج**، (الموصل: ١٩٨٩م)، ص٨٢؛ نصر الله فلسفي، مرجع سابق، ص٢٢١.

(٤٤) إياد عبد الرحمن شيحان، مرجع سابق، ص١٤٨.

(٤٥) أحمد تاجبخش، **إيران در زمان صفوية**، (جهر، تبريز: انتشارات كتا بفروش ١٣٤٠هـ.ش.)، ص٨٠-٨١؛ محمد جواد عبد الكاظم، مرجع سابق، ص٢٠٣.

(٤٦) طالب محيبس حسن، **إيران في عهد الشاه إسماعيل الأول (١٥٠١-١٥٢٤م)**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٧م، ص١٤١-١٤٢؛ سلام خسرو جوامير، مرجع سابق، ص١٣٦.

(٤٧) ريتشارد بلانت، **النقود العربية الإسلامية**، ترجمة: بسَّام سروج وإبراهيم سروج، (١٩٩٤م)، ص١٢٦؛ علي إبراهيم درويش، مرجع سابق، ص٢٥٢؛ إياد عبد الرحمن شيحان، مرجع سابق، ص١٥٧.

(٤٨) علي إبراهيم درويش، مرجع سابق، ص٢٥٣.

(٤٩) جون شاردن، **رحلات في بلاد فارس (١٦٧٣-١٦٧٧م)**، ترجمة: صلاح صلاح، (دار السويدي، مركز القائمقامية بأصفهان للتحريات الكومبيوترية، ٢٠٠٥م)، ج٢، ص١٩٤.

(٥٠) علي إبراهيم درويش، مرجع سابق، ص٢٤٩-٢٥٠؛ إياد عبد الرحمن شيحان، مرجع سابق، ص١٥٨.

(٥١) أبو القاسم طاهري، **تاريخ سياسي واجتماعي إيران ازمرك تيمور تامرك شاه عباس أول**، (تهران: ١٣٤٩هـ.ش.)، ص٤٠٤.

(٥٢) علي إبراهيم درويش، مرجع سابق، ص٢٥١؛ إياد عبد الرحمن شيحان، مرجع سابق، ص١٦٣-١٦٤.

٥٣ (٥٣) الميرزا سميعا، مرجع سابق، ص٢١؛ عباس إسماعيل صباغ، مرجع سابق، ص٢٢٨.

(٥٤) إياد عبد الرحمن شيحان، مرجع سابق، ص١٦٠.

(٥٥) إياد عبد الرحمن شيحان، **أثر تدهور الإدارة في سقوط الدولة الصفوية**، جامعة واسط، كلية التربية، العدد (٧)، ٢٠١٢م، ص١٥١؛ علي حسن علي، مرجع سابق، ص٢٨-٣٠.

(٥٦) إياد عبد الرحمن شيحان، **التنظيمات الإدارية والمالية**، ص١٥٢.

(٥٧) حسن الأمين، مرجع سابق، مج١٤، ص٥٤٢؛ عباس إسماعيل صباغ، مرجع سابق، ص٩٦.

(٥٨) محلَّة جديدة أنشأها الشاه عباس الأول قرب أصفهان، سكن بها الأرمن من المسيحيين لاسيَّما التجار منهم. يُنظر: مشعل مفرح ظاهر، مرجع سابق، ص٢٧؛ جون شاردن، مرجع سابق، ج١، ص١١٨.

(٥٩) حسن الأمين، مرجع سابق، مج١٤، ص٥٥٨-٥٦٠.

(٦٠) منيورسكي، **سازمان إداري حكومت صفوي**، ترجمة: مسعودينا، (تهران: ١٣٣٤ هـ.ش./ ١٩٥٦م)، ص١٥٢-١٥٤؛ علي إبراهيم درويش، مرجع سابق، ص٢٣٢.

(٦١) عاصم حاكم عباس، مرجع سابق، ص١٥.

(٦٢) إياد عبد الرحمن شيحان، **التنظيمات الإدارية والمالية**، ص١٣٢، ص١٣٥.

(٦٣) أبو القاسم طاهري، **بيشن**، ص٤٠٣.

(٦٤) شاردن، **سفرنامة شاردن**، ترجمت: إقبال يغالي، (تهران: ١٣٧٣هـ.ش./ ١٩٩٥م)، ج٤، ص١١٩٧.

GVLISTAN
OV
L'EMPIRE
DES ROSES

Composé par SADI, Prince des Poëtes Turcs & Perſans.

Traduit en François par ANDRE' DV RYER, ſieur de Malezair, Gentil-homme ordinaire de la Chambre du Roy, Cheualier de l'Ordre du S. Spulchre de Ieruſalem cy-deuant Conſul pour ſa Majeſté, & ſes nations en Alexandrie, au grand Caire, & Royaume d'Egypte.

A PARIS

Chez ANTHOINE DE SOMMAVILLE, en la petite Salle du Palais, à l'Eſcu de France.

M. DC. XXXIV.

AVEC PRIVILEGE DV ROY

Stephanus Baluzius Tutelensis.

Frontispiece of André du Ryer's translation

Shah Abbas I engraving by: Dominicus Custos-Antwerp, artist printer and engraver

Georgian manuscript of Shahnameh written in the Georgian script

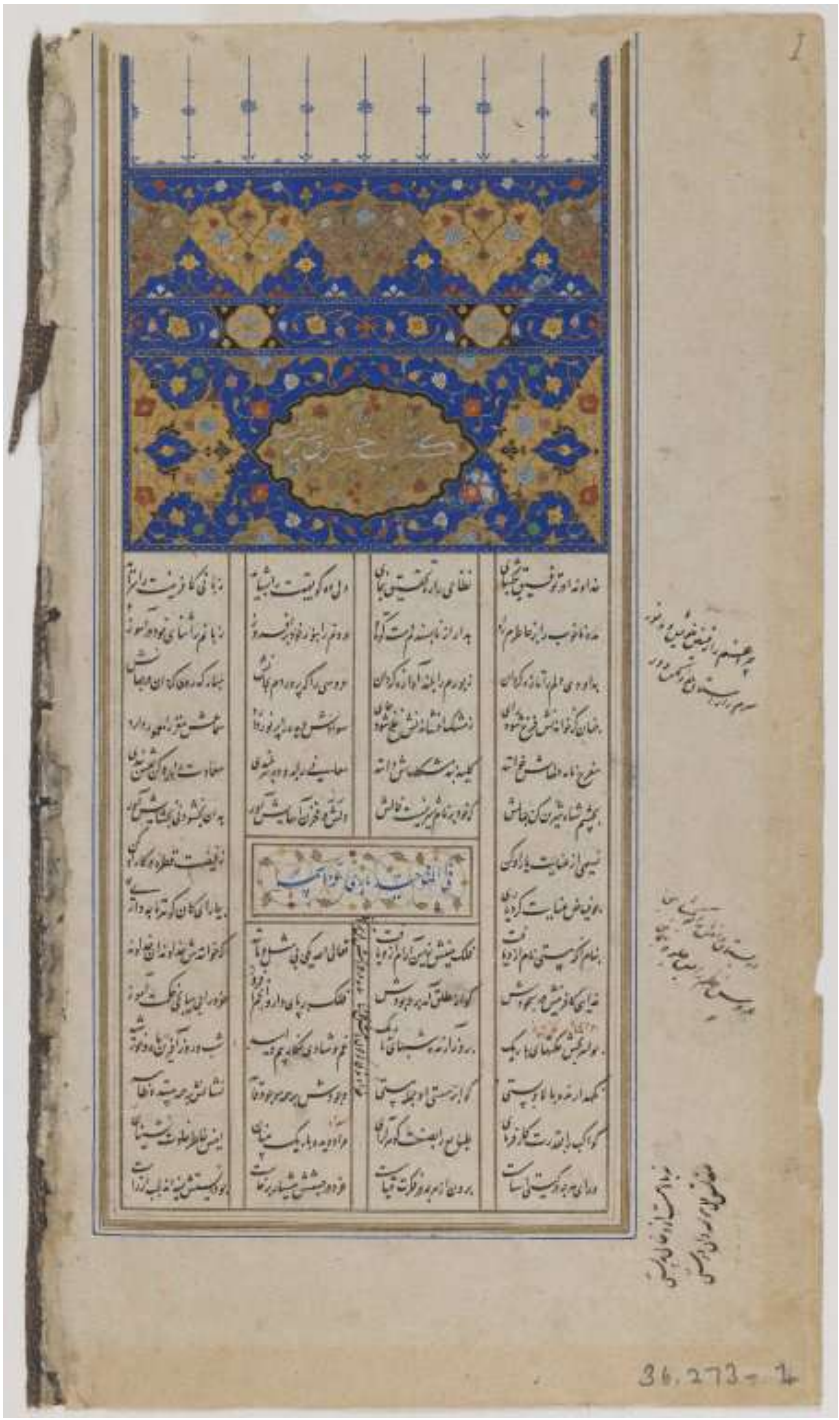

Page from an Illustrated Manuscript of the (Khamsa)
by: Nizami (Brooklyn Museum)

Bahram Gur and Courtiers Entertained by Barbad the Musician
(from a manuscript in the Brooklyn Museum)

Shahnameh (Book of Kings) Abu’l Qasim Firdausi (935–1020)

Saadi in a Rose garden, from a Mughal manuscript of his work Gulistan, c. 1645.
Saadi is on the right

Gulistan Saadi (Calligraphy of Golestan Saadi in Nastaliq script)

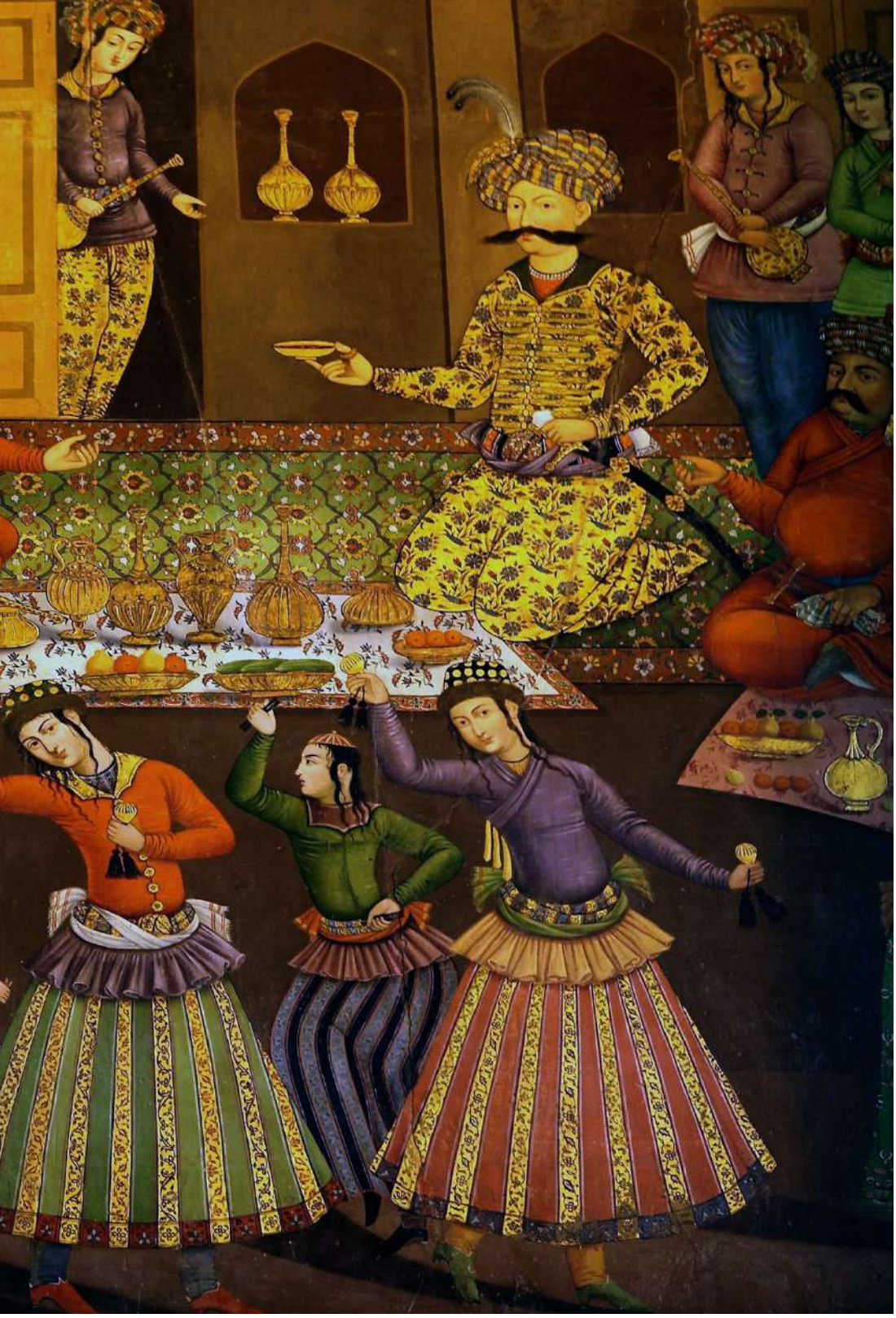

Shah Abbas I and his court

Canvas by Carlo and Gabriele Caliari in the Doge's Palace in Venice depicting doge Marino Grimani receiving the Persian ambassadors, 1603

Economy Statusin the Late Safavid Era

(1629-1722)

Dr. Bushra Ibrahim Salman
AL-Rasheed University / Baghdad

Abstract:

Shah Abbas the great successfully achieved a wide economic revolution based on the commercial openness on the west and east counties. This made Persia's gates open to world merchants and Europe Companies. In addition to the prosperity of ports, which encouraged foreign commercial companies to establish a role for trade while granting Safavid privileges, providing guarantees and facilitating ways to reside within the borders of the Safavid state, as well as a clear interest in the field of agricultural and industrial activity, especially what the Safavids knew of making a qualitative leap in the field of firearms industry Which was at the forefront of the Safavid industries, especially during the days of Shah Abbas However, the economic revolution which Shah Abbas the great sought to achieve did not last long, especially as we know that successor shahs were weak in terms of police and Administration.

This reflected in the deterioration of the general status and rapid fall of the economy status, in its various aspects, which paved the way to end the Safavid Era and the Afghan took the ruling of the Safavid Sate easily and successfully Especially since the period in question (1629-1722) witnessed the assumption of the rule of the Safavid state by four Safavid shahs after Shah Abbas the First who did not record successes commensurate with the prestige of the Safavid state, especially if we know that the Safavid era and from its inception was considered a stage for the development and renewal process to build an economic state So, it is not surprising that the economic conditions are disturbed and weakness and dissolution in the joints of the Safavid state becomes subject to the Afghan invasion since 1722 AD.